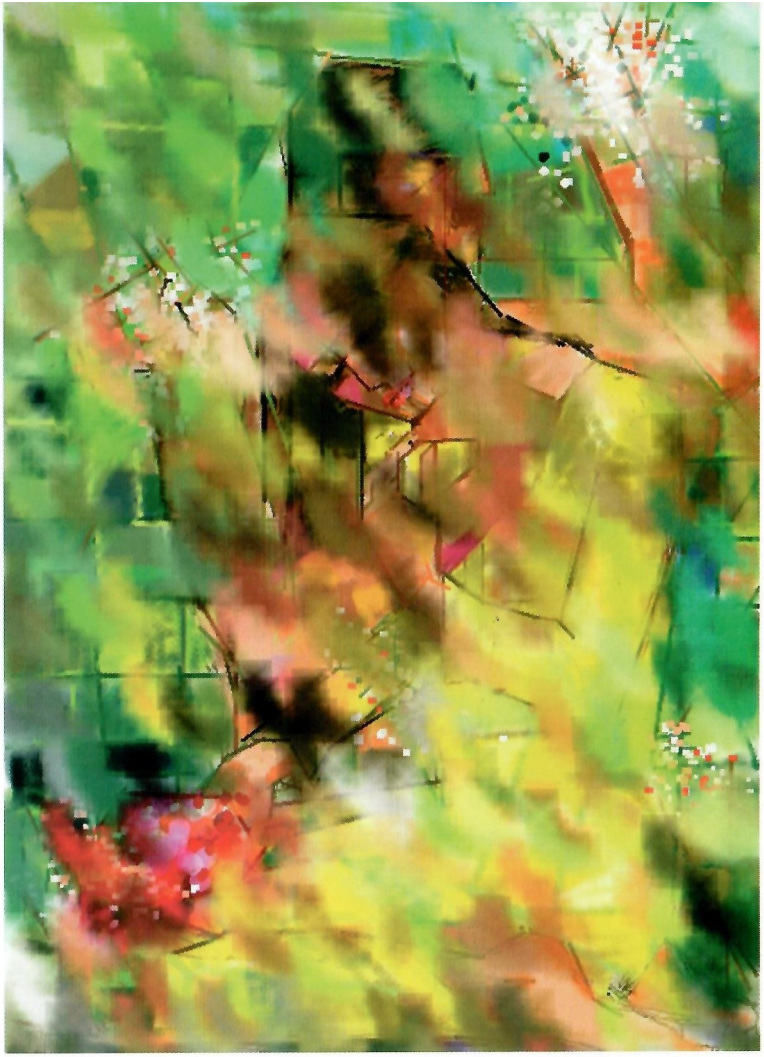

اسماعيل شمّوط

معرض لوحات ورسوم باستخدام "الكومبيوتر"

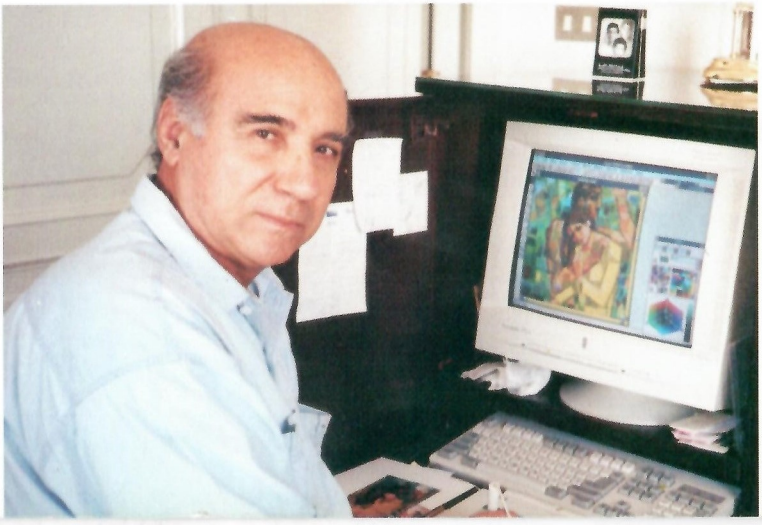

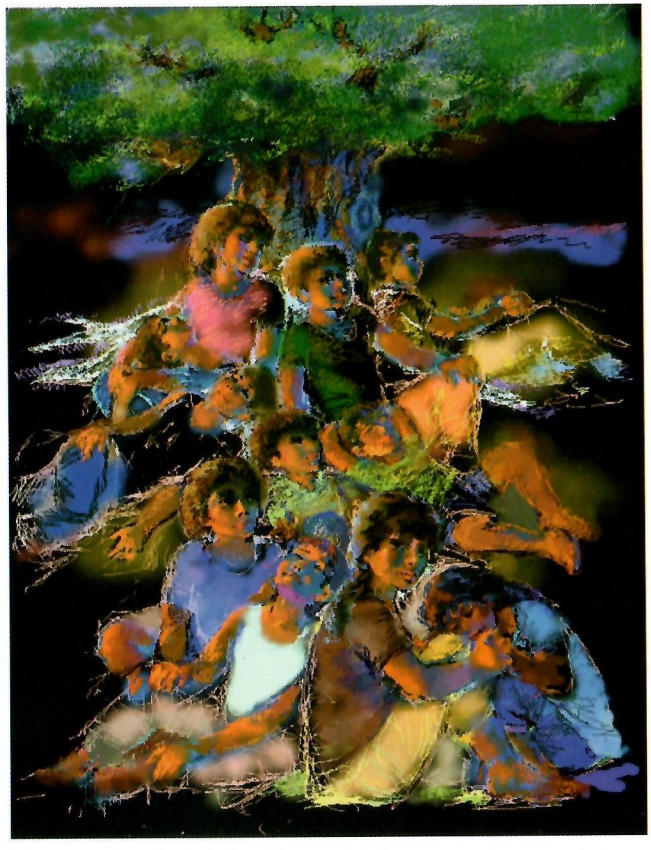

"الكومبيوتر" وسيلة حديثة لفن "الغرافيك"..؟

على الرغم من أن عالم الفنون عالم خاص يختلف بطبيعته عن دنيا العلوم إلا أن هناك علاقة قائمة بينهما منذ وجدت الفنون والعلوم . وثمة سباق خفي بين الاثنين وضحت معالمه وآثاره في القرنين السابق والحالي بسبب حركة التطور العلمي السريعة والمتسارعة باضطراد .

وعلى الرغم من أن فن الرسم والتصوير لم يكن على امتداد آلاف السنين تصويرا للواقع كما تراه العين ، بل كان تصويرا للواقع كما تدركه بصيرة الفنان وتستشعره أحاسيسه ومشاعره من خلال عملية تفاعل إنساني بين الفنان ومحيطه العام ، وهي نتاج إنساني له موازينه الخاصة وأسس جمالياته غير الثابتة والتي تتغير وفق الزمان والمكان ، على الرغم من ذلك فإن اختراع التصوير الفوتوغرافي أواسط القرن السابق أحدث بعض الإرباك عند الرسامين والمصورين ، ورأوا فيه شيئا من التحدي لهم ولتخصصهم .

ومنذ اختراع التصوير الفوتوغرافي ، ومع بدء العصر العلمي الحديث بجديده ومستجداته ، أخذ الفنان التشكيلي يتطلع وبشكل ملفت للنظر وغير مألوف إلى ضروب ودروب جديدة في مجال الفن التشكيلي تكون خارجة عن بعض الأصول والأسس الفنية الأكاديمية التي كانت سائدة حتى ذلك الزمان . في تلك الآونة بدأت تنغرس بذور المدارس الفنية التشكيلية الحديثة وتنمو في ظروف جديدة متحدية أبرزها وأهمها المدرسة الانطباعية وكل ما تفرع منها .

ومع تطور أدوات ومواد وأجهزة التصوير الفوتوغرافي منذ أواسط القرن الحالي ، إضافة إلى التقدم السريع والمذهل في دنيا العلوم بشكل عام ، وفي زمن شهدت الفنون فيه ، والفنون التشكيلية بشكل خاص ، ثورة حقيقية تعدت عند بعض الفنانين حدود المعقول ، ظهر جهاز "الكومبيوتر" أحدث نتاجات العلم الحديث . غزا هذا الجهاز حياة الإنسان وأثراها ، وصار في البلدان المتقدمة جزءا من الحياة اليومية للناس ، جهاز فيه امكانيات لا حصر لها وفي شتى مجالات الحياة بما في ذلك الفنون .

وجهاز "الكومبيوتر وغيره من الأجهزة والأدوات الحديثة التي لا تعد ولا تحصى هي أجهزة وأدوات أنتجتها العلوم ، تشكل أمام الفنان عملاقا متحديا . لقد كان لاختراع التصوير الفوتوغرافي أثره الإيجابي على الفنون ، هل سيكون لهذه الأجهزة الالكترونية الحديثة تأثير على الإنتاج الفني الحديث مرة ثانية ... وما هو شكل هذا التأثير ؟ هل هو سباق ... أم هي آفاق جديدة تستكشفها العلوم أمام الفنون ؟ هل ثمة مجال للتعاون فيما بينها ... ؟ ولعل السؤال الأهم هو من من الاثنين أقدر على التحكم بالآخر ؟

منذ بضع سنوات بدأت التعرّف على عالم "الكومبيوتر" ، واكتشفت فيه طاقات وقدرات غير عادية وغير مألوفة ، يمكن الاستعانة بها والاستفادة منها في مجال الرسم والتصوير ، الأمر الذي دفعني لخوض غمار التجربة واقتحام هذا العالم الالكتروني والتعامل معه .

حرصت منذ بداية تعاملي مع هذا الجهاز على أن لا تطغى قدراته العلمية المعقدة وتسيطر عليّ وعلى إنتاجي الفني . وقد نجحت في السيطرة عليه وطوعته لارادتي الفنية وانتجت بواسطته هذه الأعمال الفنية التي تعرض اليوم لأول مرة في قاعة "منتدى شومان" بعمّان وفي مركز "الواسطي" بالقدس في آن ، متميزة بطابعي وبأسلوبي في الرسم والتصوير شكلا ومضمونا .

لم تكن العملية سهلة ، فقد استغرقني وقت طويل إلى أن تعودت وتعلمت الرسم بوساطة هذا الجهاز . ففي مجال الرسم والتصوير العادي تكون العين مركزة عادة على مكان تحرك القلم أو الفرشاة ، بينما تتم عملية الرسم باستخدام الكومبيوتر في موقعين بعيدين عن بعضهما فاليد ترسم في مكان (لوح خاص) والعين تتابع حركة اليد في مكان آخر (شاشة الكومبيوتر) .

تبدو العملية الفنية باستخدام الكومبيوتر بسيطة في بدايتها اذا ما عرف الفنان وتعلم كيف يتعامل مع هذا الجهاز وألمّ بخصائص برامجه المتعلقة بالرسم والتلوين ، لكن ذلك المجال الواسع الذي يتيحه هذا الجهاز للرسم والتصوير من خلاله ، سواء من حيث عدد الألوان المتاحة والتي تعدّ بالملايين ، أو من حيث عشرات أو مئات العمليات والأدوات الفنية التي يمكن استخدامها فيه ، إضافة إلى أشكال عجيبة وغريبة تستنبط من العمل الواحد وتأتي بنتائج لا تخطر على بال فنّان ، كل هذا يجعل العملية الفنية عبر هذا الجهاز ممتعة ، وتفتح آفاقا جديدة في مجال الفن التشكيلي .

معلوم أن الفنّ التشكيلي يشمل الرسم والتصوير والنحت والحفر أو ما يسمى باللغة الفنية "الغرافيك" . ونعرف أن اللّوحة والتمثال أحادية الإنتاج ، أي أن الفنّان يرسم أو يصوّر لوحته ولا يكررها أو ينحت تمثاله ولا يكرره . ويمكن للفنان، أو لغيره ، عمل نسخ عنها ، إلاّ أن الأصل الفنّي يكون عملا واحدا فقط. في فنّ الحفر "الغرافيك" ، كما لا يخفى على الكثيرين ، يقوم الفنّان بعمله الفني رسما على الورق أو الحجر أو حفرا في لوح معدني أو خشبي أو جلدي ، ثم يقوم بطباعة ما رسم أو حفر وبعدد محدود من النسخ تعد بالعشرات ، أو المئات أحيانا ، يوقع الفنان كل نسخة منها ويرقمها فتعتبر كل نسخة منها عملا فنيا أصيلا .

في اعتقادي أن "الكومبيوتر" آلة حديثة لإنتاج عمل فني "غرافيكيّ" "مرسوما" أو "محفورا" باستخدام هذا الجهاز الحديث . وتتم العملية الفنية بأدوات مرتبطة بهذا "الكومبيوتر" يمكن التحكم بها والسيطرة عليها .

في ظنّي أن هذه اللوحات والرسوم التي أنتجتها مستخدما هذا الجهاز العصري هي أعمال فنية "غرافيكيّة" ، أعرضها أمام نقّاد الفنّ ومحبيه وأمام الزّملاء الفنّانين ، والناشئين منهم بشكل خاص ، كي يتعرفوا على هذا العالم الجديد وعلى هذه التجربة الجديرة بالاهتمام ، والتي تؤكد قدرة الفنان على الاستفادة من نتاجات العلم الحديث ، وتوطد مجالات التعاون فيما بين الفن والعلم .

نوفمبر ١٩٩٦

إسماعيل شموط

ISMAIL SHAMMOUT, AMMAN 1996